الملف

خليل حرب
Khalilharb66@gmail.com

حرب نتنياهو تتوسّع نحو جبهات الإسناد وصناديق الإقتراع الأميركية

اكثر من عام على حرب غزة، وحكومة بنيامين نتيناهو، المستندة على اليمين المتطرف، جعلت المنطقة تنزلق باكملها الى اللعب على حافة الهاوية، بما في ذلك تحديدا مع جبهات الاسناد، بل ومحاولة التلاعب بمشهد معركة انتخابات اميركا، لملاقاة الجمهوري دونالد ترامب، اذا فاز، على خيار حرب محتملة ضد ايران

اكثر من عام على الحرب التدميرية في غزة، والتي انتشرت شراراتها في انحاء المنطقة، الى لبنان وسوريا واليمن والعراق وايران، ولم يتمكن الحليف الاميركي من فرض خطوط حمر واضحة وعلنية على حكومة نتنياهو وسياساتها، ومنعه من جر المنطقة باكملها الى الفوضى الشاملة، بما في ذلك في لبنان الذي يشهد تدميرا ممنهجا لقراه واحياء كاملة في بعض مدنه، فيما تخطت حصيلة ضحايا العدوان الاسرائيلي اكثر من 2600 شهيد ونحو 13 الف جريح، اضافة الى اجبار اكثر من 1.2 مليون انسان على النزوح.

كلما كانت تتبلور ملامح قيود محتملة على اندفاعة نتنياهو الجامحة والتدميرية، كان يحرص على ان يظهر لوزرائه من اليمين المتطرف، مثل وزير الامن القومي ايتمار بن غفير، المنتمي الى حزب القوة اليهودية المعادي للعرب، او وزير المال بتسلئيل سوتريتش، المنتمي الى حزب "المفدال" الصهيوني الديني، انه لا يخضع لاملاءات خارجية، ومتمسك بخيار الحرب بدلا من التفاوض، حتى النهاية.

خذ مثلا عندما اعلنت وزارتا الخارجية والدفاع الاميركيتان مؤخرا انهما تعارضان شن هجمات اسرائيلية على بيروت او على مبان سكنية، كانت اسرائيل، وبضوء اخضر من نتنياهو بالتأكيد، تصعد من غاراتها الى العاصمة وعلى مبان وشقق سكنية وتوقع عشرات الضحايا عمدا.

وخذ مثلا، ان اسرائيل طوال الشهور الاولى من حرب غزة كانت كلما لاحت فرصة التوصل الى وقف لاطلاق النار، تتعمد ارتكاب مذبحة اكبر، وقد فعلت ذلك مرارا. ليس ادل على ذلك، من عملية اغتيال رئيس حركة حماس اسماعيل هنية في طهران، في اللحظة التي كانت الادارة الاميركية والوسيطان القطري والمصري يتحدثون على بلورة صيغة جديدة للهدنة ووقف الحرب.

وخذ مثلا، ان اسرائيل تعمدت اغتيال الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله في اللحظة التي قال فيها الاميركيون انهم اعدوا مقترحا لوقف اطلاق النار، ونالوا موافقة من الحكومة اللبنانية عليها، بل ان مسؤولين لبنانيين اكدوا ان نصرالله نفسه اعطى الموافقة المبدئية على الجهود اللبنانية

للمضي قدما في مشروع الهدنة، وذلك على الرغم من ان مسؤولين اسرائيليين قالوا لاحقا ان اسرائيل اتيح لها اغتيال السيد نصرالله خلال الاسابيع الاولى من حرب "طوفان الاقصى"، لكنها لم تفعل.

تريد اسرائيل بوضوح ان تجعل من الاغتيال نفسه وسيلة لتحقيق اهدف سياسية، لا لمجرد قتل الشخص المستهدف. حتى خلال مهمة الاخيرة للمبعوث الاميركي آموس هوكشتاين في بيروت في 21 تشرين الاول الماضي، عمد سلاح الجو الاسرائيلي الى تصعيد اعتداءاته على الضاحية الجنوبية لبيروت، وعلى مناطق اخرى في البقاع والجنوب، ووصلت في ليلة واحدة الى 17 غارة على الضاحية الجنوبية.

الدلائل كثيرة، لكن المؤكد هو ان نتنياهو يدفع منذ عقدين وخلال عهود 4 رؤساء اميركيين، من اجل توريطهم في حرب مباشرة مع ايران. وقد شعر ان بعض تطلعاته هذه باتت وشيكة بشكل لم يسبق له مثيل، عندما اغتالت ادارة دونالد ترامب قائد "قوة القدس" في الحرس الثوري الايراني قاسم سليماني في العام 2020، وردت ايران وقتها بقصف قواعد اميركية في العراق. لكن شرارة المواجهة الكبرى التي يبتغيها لم تشتعل.

لا يشعر نتنياهو بالاكتفاء من مستوى الدعم والمساندة التي يتلقاها من الادارات الاميركية المتعاقبة، بما في ذلك من الادارة الديموقراطية الحالية التي وفرت له دعما ماليا وسياسيا قل نظيره وصل الى عشرات مليارات الدولار من الاموال والعتاد العسكري والاسلحة بمختلف أنواعها. وقد وصلت وقاحة رئيس الوزراء الاسرائيلي حدا سمح فيه لنفسه بأن يخرج موبخا الرئيس بايدن لانه الح الى تجميد نوع معين من القنابل الشديدة التدمير، ويجبره على التراجع واستئناف صادرات الاسلحة بلا قيود والتي كان كما اتضح لاحقا، انه كان يعد العدة من اجل توسيع حربه نحو الشمال، نحو لبنان، واستخدامها باريحية هناك.

مع ذلك، فان نتنياهو لم يكن راضيا، رغم سخاء الجسر الجوي الذي اقامته واشنطن

> **اكثر من 15 الف شهيد وجريح لبناني**
>
> **13 شهرا ولم يفرض بايدن أي خطوط حمر**

من اجل حروبه، ويبدو اكثر ارتياحا الى عودة ترامب بنفسه الى البيت الابيض. يأخذ نتنياهو في الاعتبار ان الخليفة الديموقراطية لجو بايدن، كامالا هاريس بدت اكثر نقدا لسياساته خصوصا في ما يتعلق بغزة التي احالها خرابا، لا خلال حرب الشهور الـ 13 الماضية فقط، وانما خلال سنوات حكمه وحصاره الطويل وحروبه المتتالية على غزة، وعلى الفلسطينيين عموما، لوأد فكرة حل الدولتين بالكامل.

لكن الاهم، ان نتنياهو يرى في ترامب مبتغاه الافضل. ولا يشفع رئيس الوزراء الاسرائيلي لمسؤولي ادارة بايدن الحالية الذين يحاولون مجاراته بشكل افضل في خيار توسيعه للحرب على لبنان، بتبنيهم مثلا "حق اسرائيل في الدفاع عن نفسها"، وفي قولهم ان واشنطن تتفهم الردود العسكرية على لبنان، ومحاولة تقويض مقاومته، وقبولهم بالمنطق الاسرائيلي القائل بأن ما يستهدفه الجيش الاسرائيلي هو بنى تحتية لحزب الله.

ويحاول ديموقراطيو بايدن مسايرة نتنياهو، مثلما فعل مستشار الامن القومي الاميركي جيك سوليفان في 24 تشرين الاول الماضي، بمحاولة ملاقاة اندفاعة نتنياهو نحو ايران وتلويحه المتكرر بمهاجمتها بقوة، عندما قال في خضم الاستعدادات الاسرائيلية للهجوم على ايران ان "ايران تمثل تهديدا مزعزعا للاستقرار وخطيرا للمصالح الاميركية ومصالح حلفائها، وهي تقوض رؤية السلام والاستقرار في الشرق الاوسط، وشعر بقلق بالغ بشأن برنامجها النووي، لذا نحن مصممون على منعها من الحصول على سلاح نووي".

تصب ادارة بايدن الزيت على نار نتنياهو التي اشعلها يمنة وشمالا وتحميه، وهو يقول ان من حقه ان يقتل اسماعيل هنية في طهران، وصالح العاروري في بيروت، والسيد نصرلله بـ 80 طنا من المتفجرات، وقادة اخرين من الحزب، ويقصف القنصلية الايرانية في دمشق، ويهاجم مناطق مدنية وعسكرية في انحاء سوريا، وتمتد يده الى اليمن، لكن احدا لا يمتلك حق الرد عليه. ◄

◄ يعتقد نتنياهو ان ترامب ربما يلاقيه في هذا التفلت والانحياز بالمطلق لإسرائيل، وليس موارية كما يفعل الديموقراطيون احيانا. الم يكن ترامب من وقع على نقل السفارة الاميركية الى القدس، معترفا بها بذلك بأنها ارض تابعة لاسرائيل، متجاهلا كل التحفظ الذي ابدته الادارات الاميركية المتعاقبة عن احتلال المدينة في العام 1967؟ الم يكن ترامب من وقع على قرار يعتبر هضبة الجولان السورية المحتلة، جزءا من دولة اسرائيل؟ الم يكن ترامب من اجاز لاسرائيل التعامل مع الاستيطان في الضفة الغربية والمتعارض مع القانون الدولي وقرارات الامم المتحدة، وكأنها ممارسة حق طبيعي لها؟ والاهم ايضا، الم يكن ترامب من سحب الولايات المتحدة رسميا من الاتفاق النووي مع ايران في العام 2018؟

الم يقل ترامب مرارا انه لو كان رئيسا لما تجرأت حركة حماس على مهاجمة اسرائيل في "طوفان الاقصى"؟ صار من الواضح ان نتنياهو يريد استدراج حرب كبرى، تغطي على جرائمه في غزة ولبنان وغيرهما، وتشغل المنطقة والعالم بالحرب وتداعياتها ومحاولة انهائها. الاهم انه يريد، وكما يؤكد العديد من الخبراء والسياسيين الاسرائيليين، ان يمضي قدما بحياته السياسية والتملص من المحاسبة السياسية والقضائية لا عن اخفاقه في منع وقوع "طوفان الاقصى" فقط، وانما ايضا في محاولاته السابقة اضعاف السلطة القضائية لمنعها من محاسبته على قضايا تتعلق بالفساد وسوء استخدام السلطة.

تقول صحيفة "هارتس" الاسرائيلية في تقرير تحت عنوان "حرب ابدية في خدمة رؤية نتنياهو" انه من "المثير للاهتمام انه حتى الولايات المتحدة لا تضغط في الوقت الحالي على اسرائيل للاسراع في انهاء المعركة في لبنان. ويبدو انهم في واشنطن يلاحظون امكان هز المنظومة السياسية في لبنان بشكل يقلص المكانة الثابتة لحزب الله التي حظي بها في العقد الاخير في قوة ذراعه العسكرية". اضافت ان "كل ذلك يخدم بالطبع حلم الحرب الابدية لنتنياهو". ولفتت الى انه جرى تطبيع الوضع مع استهداف ثلث اراضي اسرائيلي بالصواريخ ولا احد يحتج، وتحاول الحكومة ان تجعل الجمهور يتعود على اطلاق الصواريخ، الذي لم يعد اي احد تقريبا يتساءل متى سيتم انهاؤه، مشيرة ايضا الى الوضع المشابه المتعلق بموضوع الاسرى الاسرائيليين التي قال انه "جرى كنسها" تحت السجادة، حيث خلق نتنياهو الازمات المتتالية بما فيها عرقلة المفاوضات، ثم جرى نقل معظم اهتمام الجمهور الى الحرب في لبنان، ثم الى التهديد الاسرائيلي بالحرب على ايران.

وتقول مصادر اسرائيلية ان توسيع الائتلاف الحكومي في اسرائيل بعد انضمام النائب المعارض جدعون ساعر وقائمته والتحالف الوثيق مع احزاب اليمين المتطرف، يمنح نتنياهو الاستقرار السياسي، ويتيح له ان يطرح المزيد من "الافكار الخطيرة" التي تقول "هارتس" انها ستعمق غرق اسرائيل في الحرب، ويتوقع ان تورطها في مشكلات اخرى، بينما يحاول نتنياهو السيطرة على "لجنة التحقيق" باخفاقات الحرب، ويحاول ايضا احكام قبضته السياسية على رئاسة اركان الجيش بترقية ضباط اكثر انصياعا لسياسات حكومته.

لكن الصحيح ايضا ان نتنياهو لم يقطع شعرة معاوية مع ديموقراطيي البيت الابيض، وهو يتحسب لاحتمال مهما كان ضئيلا بأن ينجحوا في الخروج منتصرين في انتخابات 5 تشرين الثاني الحالي، وبامكانه الاستمرار في البناء على كل الزخم والدعم الذي وفره له بايدن نفسه. لكن الصحيح ايضا ان رئيس الوزراء الاسرائيلي خلق ما يكفي من ساحات الالتهاب المختلفة والواسعة مع "جبهات الاسناد"، بما يمكنه من تعقيد اي محاولة ديبلوماسية ولو من جانب الولايات المتحدة، لتسوية الوضع المتفجر في المنطقة، ويعزز اكثر فاكثر خياره باللجوء الى العمل العسكري وصولا الى طهران، ومحاولة جر الاميركيين الى المواجهة معها.

ومثلما ان اغتيال السيد نصرلله في لبنان، من شأنه تعقيد مهمة البحث عن تسوية مقبولة، ويثير شهية الاسرائيليين لطرح ما يرقى الى صيغة استسلام على اللبنانيين، عبّر عنها الرئيس السابق لمجلس الامن القومي الاسرائيلي غيورا ايلاند عندما قال ان اسرائيل مستعدة لانهاء الحرب باتفاق يعتمد على نزع سلاح الحزب الذي بامكانه البقاء كحزب سياسي، وان يحتفظ عناصره بسلاحهم الفردي، لكن يجب تدمير كل السلاح الثقيل والقدرة على انتاج. ان اغتيال اسماعيل هنية، وفي طهران، وفي يوم تنصيب الرئيس الاصلاحي الجديد مسعود بزشكيان، من شأنه استدراج رد فعل ايراني قوي، وهو ما جرى فعلا في الاول من تشرين الاول الماضي باطلاق 200 صاروخ باليستي على مواقع وقواعد عسكرية اسرائيلية، كما ان يفرض "اجندة عمل" على الادارة الاميركية الحالية والمقبلة سواء كانت لكامالا هاريس او لدونالد ترامب، بأن "علينا سوية" مواجهة الخطر الايراني.

قطع نتنياهو خطوط التواصل السرية التي كانت تجري بين الايرانيين وبين الاميركيين من اجل استئناف المفاوضات، وعززت طهران هذا الخيار مع انتخاب بزشكيان الاصلاحي الذي نادى منذ اليوم الاول بضرورة الانفتاح على الغرب وعلى واشنطن من اجل تحسين العلاقات ورفع العقوبات. وبالاغتيالات التي قامت بها اسرائيل، منذ هنية، وصولا الى اغتيال قادة المقاومة في بيروت، ثم ترويج لخطاب الحرب مع طهران، فان بزشكيان اصبح مقيدا اكثر بخيارته على الصعيدين الداخلي والخارجي. لم تكن هذه الاغتيالات صدفة، ولم يكن هدفها مجرد الاستئصال الجسدي لمقاومين ضد اسرائيل، وانما اعادة صياغة مسبقا لما يجب عليه ان تكون اولويات الولايات المتحدة - واستطرادا الغرب - في التعامل مع تحديات المنطقة كما يراها نتنياهو وعصابته في الحكم.

تكرار حديث المسؤولين الاميركيين عن وقوفهم الى جانب اسرائيل في "الدفاع عن نفسها" بينما هي تعد وتنسق الخطط العسكرية معهم من اجل توجيه ضربات لايران، يمثل مقامرة بمصير المنطقة برمتها.

نشر ادارة بايدن انظمة "ثاد" ارض - جو الدفاعية الاميركية في اسرائيل، اشارة مهمة، وربما محاولة تأكيد جديد من ديموقراطيي البيت الابيض، بانهم يقفون دائما الى جانب "الحليف الاستراتيجي" اسرائيل في الايام الاخيرة قبل فتح صناديق الاقتراع الأميركية. لكنها ايضا قد تكون اخطر من ذلك، سواء فاز ترامب او هاريس، بأن مشروعا جديدا يرسم

نتنياهو يصعد كلما طرحت هدنة

تصاعدت الغارات مع مهمة هوكشتاين

للمنطقة، واسرائيل خلقت الفرصة الملائمة بنظرها، لتطبيقه، باضعاف محور المقاومة وتغليب مؤيدي "الاتفاقات الابراهيمية"، والتأكيد للغرب على ان اسرائيل كفكرة ومشروع، لا تزال صالحة وحيوية من اجل رسم مصير المنطقة والتحكم فيها واعادة صياغتها.

لكن اللجوء الى "ثاد"، وغيره من المقدرات العسكرية الاميركية المؤثرة، قد يثير رسائل اخرى، والتي من بينها ان طبقات انظمة الدفاع الجوي الاسرائيلي ليست قادرة وحدها على حماية الكيان الاسرائيلي، وان واشنطن تدرك ان الصواريخ الايرانية الحقت اذى كبيرا بالقواعد الاسرائيلية مثلما اظهرت صور الاقمار الصناعية، وان واشنطن بذلك توفر حماية اضافية لاسرائيل وهي تخوض حروبها الاقليمية المدمرة بما في ذلك ضد لبنان، وان بايدن ربما يقدم "خدمة" لحملة هاريس الانتخابية. لكن نشر "ثاد" وغيرها من التحشدات العسكرية الاميركية، يوجه رسالة الى "جبهات الاسناد" بأن معركة اسرائيل معهم، هي ايضا معركة الولايات المتحدة، وهو ما فتح الباب امام تهديدات علنية ومبطنة صدرت في ايران لـ"جيرانها" من العرب بالا يفتحوا اجواء بلادهم، والا يسمحوا للقواعد العسكرية الاميركية بأن تستخدم في اي عدوان على ايران. كما ان "جبهات الاسناد" قد تكون معنية بالانخراط في مواجهة كبرى يسعى اليها نتنياهو، ضد قواعد اميركية في انحاء المنطقة، في الخليج والعراق وفي سوريا في التنف والحسكة وغيرها، الى جانب تهديدات صدرت من فصائل من المقاومة الاسلامية في العراق، بان موارد الطاقة في المنطقة والخليج، قد لا تكون في منأى عن الانتقام.

اخطر ما قد يفكر به نتنياهو هو ان اشتعالا اقليميا كبيرا قبل فتح صناديق الاقتراع مباشرة، قد يظهر فشل وعجز حكم الديموقراطيين ويفضحهم، بحيث يدفع الخوف الناخبين الاميركيين، الى الركون لوعود ترامب "القوي" بأنه الخيار القادر على حماية الولايات المتحدة ومصالحها.